الفصل الأول

الإطـــار العـــام للدراســـة

- مقدمـــــة الدراســـة.
- قضيـــة الدراســـة.
- تســـاؤل الدراســة.
- أهـــداف الدراســـة.
- حـــدود الدراســـة.
- منهـــج الدراســـة.
- مصطلحات الدراسة.
- خطوات الدراســـة.

الفصل الأول

الإطـــار العـــام للدراســـة

مقدمـــة الدراســـة :

لقد أصبح فى حكم الحقائق التاريخية الثابتة، التفاعل المتبادل بين الثقافات والحضارات، مع الإحتفاظ بالتمايز والخصوصيات، فمهما كان مصدر الثقافات وموارداها، فإن بعضها يغذى بعضاً، دون إقامة حواجز لا تسمح باتصال أو تبادل، والشرط الأساسى هنا المحافظة على التمايز والخصوصيات الثقافية والحضارية. إلا أنه بتصفح التاريخ أو بدراسته دراسة فاحصة نجد - دوما - أن الحضارات القوية تؤثر فى المناخ الثقافى السائد للشعوب الضعيفة، خاصة إذا كانت غازية تحاول تمييع هذه الخصوصيات لدمج الثقافات المختلفة فى ثقافتها، ولعل أكبر مثال على ذلك فى العصر الحديث هو الاستعمار الحضارى الغربى المتفوق الذى يحاول أن يبهر جميع الثقافات بإنجازاته المادية. ومما لا شك فيه أن الناس فى جميع أرجاء المعمورة بحاجة لهذه الإنجازات وهم يواجهون فى ذلك مشكلات وتحديات كبيرة.

ويواجه العالم العربى والإسلامى - فى العصر الحاضر - تحديات كثيرة ومتعددة، ولعوامل كثيرة ومتعددة أيضاً فقد جندت كل القوى فى العالم الغربى مختلف وسائل الإعلام الغربية القادرة على الوصول إلى شتى بقاع العالم، وذلك من أجل السيطرة على العالم أجمع - ولا سيما العالم العربى الإسلامى-، بل وصل الأمر ببعضها إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ لأنه يعد الخصم الأساسى للغرب - من وجهة نظرهم -، وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى العدو التقليدى للغرب، فقد صرح المسئولون فى الغرب بأن العدو البديل والمحتمل هو الإسلام[١]،[*]

ويصل أحد المحللين إلى أنه "مع انهيار النظام الشيوعى لم تظهر إلى جانب الإسلام (المتطرف) أى مجموعة أخرى من المعتقدات المتماسكة ذات الانتشار الواسع بين الناس على نطاق مساحة جغرافية شاسعة، وتوجه على نحو منظم نقدا واضحا وقويا

---

(١) محمود حمدى زقزوق ، فى مواجهة الاستشراق، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد ٦٥-٦٦، السنة ١٧، بيروت، مؤسسة المسلم المعاصر،محرم-جمادى الآخرة ١٤١٣هـ/أغسطس-يناير١٩٩٢/٩٣م،ص١١ .

[*] ليس المقصود من هذه العبارة تبريراً لحالات التخلف التى يعيشها المسلمون والعالم الإسلامى بقدر ماهى تصوير للواقع فعلاً.

للغرب، وكان الشرق الأوسط فى الوقت نفسه يمثل الموقع الوحيد الذى وقعت على أرضه مرارا وتكرارا عمليات التدخل العسكرى الغربى على مدى العقود القليلة الماضية، خاصة بعد النظر إلى إسرائيل ذاتها باعتبارها قوة غربية فى الشرق الأوسط سواء من حيث الطابع المميز لها أو من حيث الدعم والمساندة، وسوف تواجه المجتمعات الإسلامية شاءت ذلك أم أبت - حقائق هيمنة النظام الدولى للرأسمالية والتجارة الحرة والدول - الأمم، وتطبيق الديمقراطية والقيم الإنسانية المناظرة لأنماط التطور فى الغرب، ويمثل الغرب محور هذا النظام الدولى بمجالاته المتباينة، وليس هناك من عالم بديل يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تعيش فيه دون أن تسلم نفسها اختيارا إلى حالة من التهميش الكاملة، بيد أن هذه الحقيقة لا تعنى أن النظام الذى أقامه الغرب لصالحه غير قابل للإصلاح والتغيير، وتوفير قدر أكبر من الاستجابة إلى احتياجات المجتمعات الأخرى، ولا سبيل إلى حدوث عملية التغيير هذه إلا بالعمل من داخل النظام وليس من خارجه"[١].

وبناء على ذلك نظر الغرب للتطورات التى طرأت على حركات إحياء الإسلام - فى معظم البلاد العربية والإسلامية منذ ثلاثينات هذا القرن - على أنها تمثل "تهديدا أصوليا، مما جعل الإسلام يحتل القمة فيما يشغل الإعلام العالمى فى الربع الأخير من القرن الحالى"[٢]. ومن هنا تغيرت فلسفة الغرب فى احتواء العالم، أو السيطرة على الثروات، فلم يعد تخطيط الغرب "يعتمد على العضلات وإنما على الذكاء"[٣]، أى أن السيطرة أو جمع الثروة لم يصبح يعتمد على الاستعمار العسكرى أو على القوة والكثرة العددية، بل يعتمد على الفكر والذكاء.

وهذا معناه أنه قد انتهى عصر حيادية المعرفة أو أنظمة الاتصال[٤]، حيث صارت المعرفة خاضعة لتأثير أصحابها، فهى تعد سلعة مثل باقى السلع الأخرى، وكل

---

(١) جراهام أى فوللر وايان أو ليسر ، **الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة**، ترجمة : شوقى جلال، القاهرة، مؤسسة الأهرام ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص ١٣ .

(٢) مراد هوفمان ، **الإسلام عام ٢٠٠٠**، ترجمة : عادل المعلم، القاهرة ، مكتبة الشروق، نوفمبر١٩٩٥، ص ٣ .

(٣) ألفين توفلر ، **تحول السلطة - المعرفة والثروة والعنف على أعتاب القرن الحادى والعشرين**، ترجمة: لبنى الريدى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص ٢٤ .

(٤) ألفين توفلر، مرجع سابق، ص ٣٥ .

سلعة ترد إلينا من مجتمع غريب تحمل فى ثناياها الشفرة الوراثية للمجتمع الذى أنتجها، والتى تنقل الصفات الوراثية من جيل لآخر، وهكذا نتحدث اليوم عن التبعية التكنولوجية أو الاستعمار التكنولوجى، مدركين أن المعارف التكنولوجية هى سلاح الاستعمار الجديد، ووسيلة سيطرة أصحاب هذه المعارف على محتاجيها[١].

وحول محاولة الغرب السيطرة التامة على العالم العربى الإسلامى يقول أحدالمحللين : إن "الحوار بين الشمال والجنوب هو فى اتجاه واحد، فقد ربح الغرب سباق الإعلام من زمان ليعرض أفكاره على المسلمين بالجملة، ويتحكم فى حياتهم كالطاعون"، وبناء على ذلك "أصبحت إدانة الإسلام جزءا لا يتجزأ من العقلية الأوربية، وقد ولدت أوربا الحديثة من الأفكار الزائفة السابقة النابعة من الحروب الصليبية"[٢]، ويواصل شهادته على الموقف غير الموضوعى للغرب من الفكر الإسلامى، بقوله : "إذا سبرت غور النفس الأوربية ولو بخدش سطحى صغير لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام - عقدة فيينا[*] - التى يمكن استدعاؤها فى أى وقت، وهذا ما حدث بالضبط فى أوربا خلال العشرين سنة الماضية"[٣]، بل تظهر معاداة الإسلام - حاليا - فى صور كثيرة، منها : إهمال الإسلام فى المناهج الدراسية فى الغرب، وتطبيق معايير مزدوجة وأبرزها : العدوان الإلحادى العنصرى.

ولم يكن ذلك بالجديد، بل وجد منذ عمل الغرب على بسط سيطرته على المستعمرات من أجل المواد الخام وفتح الأسواق ومنذ إعلان الحرب الدينية المقدسة على الشرق باسم المسيحية، وفرض النموذج الغربى ومقاييسه على الفكر العربى الإسلامى. وذلك عن طريق إتاحة الفرصة للعديد من التيارات الفكرية القادمة من الغرب،للتوغل فى العقول الإسلامية ومن هذه التيارات : تيار الفكر الاستشراقى؛ الذى يعد تيارا فعالا

---

(١) سعيد إسماعيل على ، الفكر التربوى العربى الحديث، **سلسلة عالم المعرفة**، رقم ١١٣، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، رمضان ١٤٠٧هـ/مايو ١٩٨٧م، ص ٣٨٠ .

(٢) مراد هوفمان ، **الإسلام عام ٢٠٠٠**، مرجع سابق، ص ص ٢٨، ٣٥ .

(*) ويقصد بتلك العقدة اجتياح جيوش الخلافة العثمانية لبلاد أوربا حتى وصلوا إلى فينا.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٣٧ - ٣٨ .

ومؤثرا، ولا يجوز الاستهانة به، أو التقليل من شأنه، حيث إن التخطيط الغربى - حتى الآن - ما زال يعتمد فى جانب كبير منه على الدراسات الاستشراقية، وهذا ليس بمستغرب؛ لأن الاستشراق كان ولا يزال له أكبر الأثر فى صياغة التصورات الغربية عن الإسلام، وفى تشكيل مواقف الغرب تجاه الإسلام[١] على المستوى السياسى والثقافى والاقتصادى.

بل إن الصورة الحديثة التى تطور إليها الاستشراق-والمتمثلة فى مراكز البحوث والدراسات، سواء كانت مراكز مستقلة أم أقساما للدراسات الشرقية فى جامعات الغرب - هى التى تساعد أصحاب القرار السياسى على الاطلاع والرصد لما يجرى فى العالم الإسلامى يوميا[٢]. وقد يرجع السبب فى محاولة الغرب بسط سيطرته وفرض نموذجه على العالم العربى الإسلامى إلى ما وصل إليه العالم العربى الإسلامى من تخلف وضعف، وما وصلت إليه المعرفة من أزمة فى هذا العالم، لأن المعرفة تجدد، وعندما تتوقف المعرفة عن التجدد تصبح غير فاعلة فى الواقع، وتفقد المجتمعات القدرة على فهم الواقع، وعندها تدخل فى أزمة حقيقية[٣]. فى حين وصل الغرب إلى أعلى درجات التفوق فى مجال التقنية والقوة المادية، ذلك التفوق الذى مكنه من استخدام التكنولوجيا والتقدم فى وسائل الاتصال المختلفة، بصورة تكاد تمكنه من السيطرة على العالم[٤]. وتابع العالم الإسلامى النموذج الغربى فى فكره وهذا هو أصل الكارثة التى واجهت تلك المجتمعات[٥]. إنها إذن المواجهة الحضارية الشاملة التى جاءت بها أوربا لبلادنا، حاملة معها نواتج نهضتها ووسائل تقدمها، إضافة إلى جعل الحضارة الأوربية وقيمها هى المقياس الوحيد لكل نهوض وتقدم، جاهدة فى التبشير بذلك فى العالم الإسلامى؛ الذى أصيب بهذه الصدمة الحضارية، وعاش حالة الانبهار التى أفقدته القدرة على التمييز

---

(١) محمود حمدى زقزوق ، فى **مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق،ص ١٣ .

(٢) عمر عبيد حسنة ، تقديمه لكتاب محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ط٢، **سلسلة كتاب الأمة**، قطر ،رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، صفر ١٤٠٤هـ، ص ٨ .

(٣) برهان غليون ، **حوارات من عصر الحروب الأهلية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م، ص ١٧٦ .

(٤) على عبد الحليم محمود ، **الغزو الفكرى وأثره على المجتمع الإسلامى**، ط٤، القاهرة، مكتبة المنار الحديثة، ١٩٩١م، ص ٧ .

(٥) برهان غليون ، مرجع سابق، ص ١٧٦ .

والرؤية الصحيحة، بعد توقف العقل المسلم عن الإبداع والعطاء[١]. وقد أدى ذلك الاتصال بالمدنية الغربية إلى إيجاد حالة من التوتر الثقافى والعقلى، النامى باطراد، كما أدى إلى إيجاد صراع فكرى، ما زال فيه "البحث عن الذات" "وتحديد الهوية"، هى الشاغل الأكبر، حتى أيامنا الراهنة[٢]. وقد أدى ذلك إلى غياب القدوة مع ضعف حركة الفكر وعدم عمقها فى طبقات المجتمع الواسعة، مما أدى إلى وقوع التبعية الثقافية والاقتصادية وما إلى ذلك[٣]. وقد دعَّم هذا الحضور الثقافى الأوربى ودعى إليه بحماسة منقطعة النظير، تلك العناصر التى تلقت العلم فى الغرب، فى فرنسا وبريطانيا بوجه خاص، بالإضافة إلى مجموعة من الكتاب المسيحيين المصريين أو المهاجرين لمصر من بلاد الشام،[٤] أو من خلال "الدور الخاص الذى قام به الرحالة الغربيون الذين زاروا الوطن العربى، والمستشرقون الذين تخصصوا فى دراسة المنطقة"[٥]، حيث كانوا يرون أن الشرق ميدان واسع جدير بالدراسة - وخاصة منذ احتكاك المدنية الإسلامية بالمدنية الغربية المجاورة لها - وهذا هو ما شجع الأوربيين على دراسة اللغات الشرقية، ولا سيما اللغة العربية كمفتاح للاطلاع على علوم الشرق[٦]. وقد يبدو لنا من حصيلة هذا كله أن النخبة المثقفة - عربيا وإسلاميا - ما زالت تعيش فى حيرة قاتلة تلامس العدمية وتقضى على الفرد بالانقسام على الذات والتجاذب بين الأمل واليأس، والتقدم والتراجع، والاحتجاج والاستسلام، والحركة والجمود، إنها تحلم بالتغيير وتخشى عواقبه وتستنكر الاضطهاد، وتخاف من إزالته، وتقاوم الاستبداد، لكنها ترهب الحرية"[٧].

---

(١) أكرم ضياء العمرى ، التراث والمعاصرة، ط٢، **سلسلة كتاب الأمة**، رقم (١٠) قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ، ص ٨ .

(٢) فهمى جدعان ، **أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث**، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص ١٠ .

(٣) برهان غليون ، مرجع سابق، ص ص ١٣٩، ١٤٠ .

(٤) فهمى جدعان، مرجع سابق، ص ٣٢٢ .

(٥) أحمد صدقى الدجانى ، الفكر الغربى والتغيير فى المجتمع العربى، **ندوة مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان : التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى - الأصالة والمعاصرة**، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس ١٩٨٥، ص ٣١٦ .

(٦) أنيس الصولى. **أسباب النهضة العربية فى القرن التاسع عشر**، بيروت ، دار ابن زيدون، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٨٤ .

(٧) برهان غليون ، مرجع سابق، ص ١٤٢ .

وقد أتاح الموقع المتميز لمصر بين الشرق والغرب الفرصة للاحتكاك بالأمم المختلفة فى كثير من أدوار تاريخها، فأخذت منها وأعطتها، وكانت الحملة الفرنسية أولى الحملات الغربية فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨م، "مجهزة ببعثة علمية، قوامها علماء أعلام فى كل ضرب من ضروب ثقافة ذلك العصر"، كما كان منهم المهندسون والأطباء والمستشرقون والمترجمون[١]، فكان لهذه الحملة أثرها فى مختلف النواحى : عسكريا، وسياسيا، وفكريا، وبذلك تعد الحملة الفرنسية "تجربة أولى مقوية للاستشراق الحديث"[٢]، حيث كان دورها الفكرى بمثابة تهيئة التربة لتقبل بذور التغريب[٣]. وعندما جاء "محمد على" ١٨٠٥م عمل على بناء نهضة حديثة فى مصر، فاتجه إلى نقل العلوم التى تقدم فيها الغرب، ولكن تسرب مع تلك العلوم المستوردة من أوربا نظريات سياسية وعناصر حضارية وثقافة غربية، لأن الإصلاحات العسكرية التى ركز عليها "محمد على" استلزمت إصلاحات فى التعليم ومحتواه وبرامجه، كما تطلبت ترجمة كثير من الكتب الأوربية فى شتى العلوم والفنون، واحتاجت أيضا للاستعانة ببعض الخبراء والمدرسين الأجانب، أو إرسال بعثات تعليمية لأوربا[٤].

ونتيجة لذلك انفتحت مصر على أوربا فى القرن التاسع عشر، بل وازداد ذلك الانفتاح - وخاصة الفكرى - فى القرن العشرين، ولا سيما على انجلترا وفرنسا، فكان لذلك الانفتاح بصماته البارزة على العقلية المصرية وعلى الفكر المصرى، وخاصة الفكر التربوى، حيث نتج عن الاحتكاك بتلك الثقافات الوافدة نمو أفكار واتجاهات جديدة فى الفكر المصرى الحديث[٥]، وهذا هو ما أكدته دراسة **زينب حسن**[٦]، حيث توصلت

---

(١) نجيب العقيقى، **المستشرقون**، جـ١، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ص ١٣٥، ١٣٦ .

(٢) ادوارد سعيد، **الاستشراق، المعرفة - السلطة - الإنشاء**، ترجمة : كمال أبوديب، ط٢، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٤٥ .

(٣) عبد الجواد يس، تطور **الفكر السياسى فى مصر خلال القرن التاسع عشر، بحث فى بدايات التوجه الغربى**، القاهرة، دار المختار، د.ت، ص ٥٦ .

(٤) محمد محمد حسين، **الإسلام والحضارة الغربية**، بيروت، المكتب الإسلامى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ص ١٣-١٥ .

(٥) صلاح الدين محمد توفيق، **دراسة تحليلية لتأثير الفلسفة الليبرالية على حركة الفكر التربوى المصرى الحديث من ١٨٨٢-١٩٥٢م**، رسالة دكتوراه، كلية تربية بنها، جامعة الزقازيق، ١٩٩٠م، ص ٢ .

(٦) زينب حسن حسن ، **دراسة للفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٠٥-١٨٨٢م**، ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٧٥ .

إلى أن الفكر التربوى المصرى فى تلك الفترة اعتمد بشكل رئيس على الفكر الغربى، يتغذى منه ويقتبس، كما أشار إلى ذلك أيضا **سعيد إسماعيل على** فى دراسته[١]، حيث توصل إلى أن الفكر التربوى المصرى الحديث اكتسب العديد من ملامحه وخصائصه من مدارس تربوية أجنبية، وكثرة النقل والترجمة من المؤلفات الأجنبية دون معيار محدد، وهذا هو ما انتهت إليه أيضا دراسة حسان محمد حسان[٢].

وعندما وقعت مصر فريسة للاستعمار الإنجليزى، ظل الوضع الفكرى على ما كان عليه فى عهد العثمانيين من الضعف، مما هيأ الوضع لأوربا لتجديد غاراتها على الشرق العربى والإسلامى، بحجة نشر الثقافة والتحضر والعلوم المختلفة، مستخدمة وسائل متعددة، أبرزها : التبشير والاستشراق[٣]، ولهذا عملت الدول الغربية الاستعمارية على زيادة نفوذ الفكر الاستشراقى الذى يخدم ويحقق أهداف الغرب، فأنشأت العديد من المؤسسات فى البلاد العربية والإسلامية تحت إشراف حكومات الغرب.

ومما يدل على ازدهار نشاط الاستشراق فى القرنين ١٩، ٢٠ :

- عقد ما يقرب من ثلاثين مؤتمرا له، فى الفترة من ١٨٧٣-١٩٦٨م، وقد ضمت هذه المؤتمرات جهابذة المستشرقين، كما حضرها العديد من مفكرى العرب والمسلمين، والشرقيين بصفة عامة، بالإضافة إلى الدعوة إلى عقد مؤتمرات إقليمية وجامعية أخرى[٤].
- أصدر المستشرقون العديد من المجلات لنشر أفكارهم، مثل : مجلة "ينابيع الشرق" فى فيينا، على يد المستشرق **هامر برجشتال**، ومجلة "العالم الإسلامى" الصادرة عن البعثة العلمية الفرنسية بالمغرب، ومجلة "عالم الإسلام" فى "بطرسبرج" بروسيا، ومجلة "العالم الإسلامى" فى بريطانيا، على يد **صموئيل زويمر**، ولهم اليوم ما يقرب من ثلاثمائة مجلة متنوعة بلغات مختلفة[٥].

---

(١) سعيد إسماعيل على، **الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لحركة الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٢٣م**، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م.

(٢) حسان محمد حسان، **اتجاهات الفكر التربوى فى مصر من ١٩٢٣-١٩٥٢م**، ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧١م.

(٣) محمد بن عبود ، **منهجية الاستشراق فى دراسة التاريخ الإسلامى**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مناهج المستشرقين فى الدرا سات العربية الإسلامية، جـ١، تونس ، إدارة الثقافة بالمنظمة، ١٩٨٥، ص ٣٤٥ .

(٤) نجيب العقيقى، مرجع سابق، جـ٣، ص ص ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠ .

(٥) محمود حمدى زقزوق، **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ٢٤ .

• كما أنشأ المستشرقون العديد من الجمعيات لمتابعة الدراسات الشرقية فى أوربا وأمريكا، مثل : الجمعية الآسيوية بباريس، والجمعية الملكية الآسيوية فى بريطانيا وأيرلندا، والجمعية الشرقية الأمريكية، والجمعية الشرقية الألمانية[١] وغيرها، بالإضافة لإنشاء العديد من مراكز البحوث والدراسات الشرقية فى جامعات الغرب، وهذه هى الصورة الحديثة التى تطور إليها الاستشراق، لرصد ما يجرى فى العالم، وخاصة العالم العربى الإسلامى، حيث يوجد الآن ما يقرب من تسعة آلاف مركز للبحوث، منها ما يقرب من خمسين مركزا مختصا بالعالم الإسلامى[٢].

وهكذا يتضح لنا مدى ما طرأ على نشاط الاستشراق من تطور خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ بدأ يحدد معالمه من جديد؛ لتجنب أى تدهور أو انكماش، نظرا لاتجاه معظم البلاد العربية والإسلامية، نحو الاستقلال، وارتفاع درجة وعى الجماهير، القومى والحضارى والأيديولوجى، وتوضح لنا دراسة **أحمد سمايلوفيتش** مدى تغلغل الاستشراق وتأثيره فى ميادين الحياة الفكرية والثقافية والأدبية فى تلك الفترة، حيث بدأ الاستشراق يغوص - بعمق - فى الفكر العربى الإسلامى، موجها اهتمامه لدراسة الأوضاع الجديدة لتلك الشعوب، فكريا واجتماعيا، للتأقلم مع المتغيرات العصرية الجديدة فى العالم كله وخاصة أوربا[٣]، إذ أن العلاقة بين الاستشراق وبين مصالح الغرب الاستعمارى قوية جدا، وبالتالى فبقاء الاستشراق بصورة مزدهرة يتوقف على مدى الدعم المالى والمعنوى المقدم من الغرب، ونظرا لأن الغرب لا يمكنه الاستغناء عن تلك العلاقة النفعية مع الاستشراق، فسيبقى احتياج الغرب للاستشراق قائما، بل سيزداد إلحاحا، وبالتالى سيزداد الاستشراق ازدهارا ونشاطا فى المستقبل، مما جعله جديرا بأن يدرس كفكر مؤثر لمعرفة مدى وعمق هذا التأثير، ولا سيما تأثيره وصلته بالفكر التربوى المصرى الحديث، وهذا هو ما دفع الباحث لدراسته. وقد لوحظ أن حركة الفكر التربوى فى مصر أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، قد تأثرت بالفكر الأوربى، الذى كان يسوده العديد من الفلسفات والاتجاهات الفكرية، ومنها الفكر الاستشراقى، الذى نما وازدهر فى تلك الفترة، على يد مجموعة من المستشرقين

---

(١) محمود حمدى زقزوق، الإسلام والغرب، جـ٤، **سلسلة قضايا إسلامية**، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٦.

(٢) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص ٨.

(٣) أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م، ص ٨٦.

المبرزين، مثل : جولدتسهير، وجب، ونيكلسون وغيرهم، وظهر هذا التأثر من خلال الإنتاج الفكرى والآراء التربوية لبعض المفكرين المصريين، مثل : طه حسين، وسلامة موسى، ومحمد حسين هيكل، وعلى عبد الرازق، وعبد العزيز فهمى، وغيرهم.

فالفكر التربوى العربى، بل فكر العالم الثالث كله يعانى من التبعية الفكرية للغرب، بل مما زاد من الخطورة أن كثيرا من مفكرى العالم الثالث والبلدان العربية يعتقدون أن هذه التبعية الفكرية تعد نوعا من التقدم الحضارى والفكرى، وهذه "التبعية الفكرية للغرب لا تتضح فى مجال كما تبرز فى ميدان التربية والفكر التربوى، فالسمة الأساسية للفكر التربوى فى العالم العربى - بصفة عامة - هى الاستغراب، ولعلنا لا نبالغ عندما نقول : إن السبب الأساسى فى أزمة الفكر التربوى العربى المعاصر ترجع إلى تبعيته للفكر الغربى، وإلى أنه لا يكاد يوجد فكر تربوى عربى أصيل"[١].

وقد أدى كل ذلك إلى انقسام المفكرين إلى شراذم وطوائف، كل يحاول أن يفرض نفسه، حتى إننا يمكن أن نقول : إن الفكر الناتج الآن - رغم الشعارات والمظاهر - ما زال فكرا تشاؤميا جبريا وتسليميا، تنقصه الثقة بالإنسان وبالتاريخ وبالعالم معا، ولعل ذلك ناجم عن شعوره بقصوره وعدم فعاليته، حتى نراه أحيانا أسير الماضى، ماضى الأمة وماضيه الشخصى، إنه فكر دفاعى دون رؤية استراتيجية، وهجومى دون قوة، يتردد بين الانهزامية الكاملة والانتصارية الكاذبة[٢] ولعل هذا أخر من تبلور التيارات الفكرية ومدارسها مما أدى إلىالإضرار بالواقع الثقافى والواقع التربوى أيضا.

وبالرغم من الاتجاهات الفكرية المعاصرة المبشرة بالحضارة الكونية القادمة وما يدور حولها من أنها ستذيب الثقافات، أو ما تحمله من هواجس فى هذا المجال، وما يثار أيضا حول مجتمع المعلوماتية الكونى وتنمية القدرة التكيفية للمواطنين فى مواجهة الظروف الكونية المتغيرة بسرعة، وما إلى ذلك من اتجاهات تدعو إلى تجاوز العصر والانطلاق إلى ما بعد الحداثة، باعتبار أن النماذج التى سادت الفكر والعلم الاجتماعى، عجزت عن قراءة العالم وتفسيره والتنبؤ بمصيره، والاتجاه نحو التفكيكية التى تهدف إلى التجديد النظرى فى النماذج الأساسية والمناهج وأدوات البحث تمهيدا لصياغة نظريات

---

(١) محمد نبيل نوفل، **دراسات فى الفكر التربوى المعاصر**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ص ١٥، ١٦.

(٢) برهان غليون، مرجع سابق، ص ١٤٣.

جديدة قادرة على قراءة العالم، بالرغم من كل ذلك إلا أن الظروف ومتغيرات المجتمع المحلى ما زالت تفرض نفسها، وما زالت تحتاج إلى قراءات واسعة لتفسير الواقع الاجتماعى والاقتصادى والتربوى وغيره، وهذا ما نحاول أن نقوم به فى هذه الدراسة، غير غافلين عن متغيرات العصر وما يشهده لأن ذلك مما يلقى أضواء كاشفة على حركة الواقع والمستقبل، إذ لابد لكل مجتمع أن يحافظ على قيمه ومقدساته، ولابد من ذلك اعتمادا على ما تقرره الاتجاهات الحديثة من ضرورة الاستقلال الوطنى، مع ما يسمى بالاعتماد المتبادل، أو إيجاد التوازن بين المصلحة القطرية والمصلحة العالمية، بمعنى أنه لابد من العودة إلى الوراء من أجل التقدم إلى الأمام، "فليس الزمان خطا يمتد ويصعد باستمرار وإنما الأصح القول أن أطوار الزمان الثلاثة هى ثلاثة أنماط : الكينونه واحدة يمثل فيها الماضى ماتم وما لم يتم بعد، لذا فالماضى لا ينفك يحضر، والمستقبل لا يتوقف عن الاستجابة للماضى حسب تعبير "**هايدجر**" وبمعنى آخر تتعاصر فى وعى الإنسان وعقله أنماط الزمان الثلاثة، بحيث يمكن أن يرجع فى المستقبل مالم يكن حاضراً، وهكذا. ليس ثمة اكتمال وتقدم فى الزمان، لأنه فى كل لحظة تتعايش كل أبعاد الزمان، فكل لحظة احتمال مفتوح على الماضى والمستقبل، وكل رغبة فى المجاوزة والتخطى يمثلها الحاضر يقابلها رجوع وعودة، ثمة عود أبدى، فالإنسان يعود فى آخره إلى أوله، وينقلب على عقبيه، وما ينفيه على مستوى يبقى فيها على مستوى آخر وبهيئه أخرى" [١] وعليه تأتى هذه الدراسة محققة لهذه المنطلقات والمبادئ الفكرية، والأمر لم يقتصر على هذه الدراسة، فقد سبقت هذه الدراسة بحوث ودراسات كشفت عن الواقع الاجتماعى والثقافى والتربوى فى مصر فى الفترة موضع الدراسة، وعلى سبيل المقاربة نشير إلى بعض هذه الدراسات مما وقع الباحث عليه.

وتأتى هذه الدراسات المتصلة بالفترة موضع البحث متضمنه إشارات ذات أهمية للدراسة الحالية فتشير **زينب حسن حسن (١٩٧٥م)** [٢] إلى أن الفكر التربوى المصرى فى تلك الفترة (١٨٠٥م-١٨٨٢م)، اعتمد - بشكل رئيس- على الفكر الغربى الحديث، يتغذى منه ويتقبس، ولكن فى إطار الأصالة، كما تبنى الفكر التربوى المصرى آنذاك عددا من اتجاهات التربية الحديثة، وهى النتيجة التى خلصت بها من دراستها، التى هدفت إلى : التعرف على طبيعة الفكر التربوى المصرى فى تلك المرحلة، ومعرفة ما ارتبط

---

(١) على حرب، **لعبة المعنى-فصول فى نقد الإنسان**، بيروت،المركز الثقافى العربى،١٩٩١م، ص ٨٨ .

(٢) زينب حسن حسن ، **دراسة للفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٠٥م-١٨٨٢م**، مرجع سابق.

بهذا الفكر من محددات اقتصادية واجتماعية ثقافية وجهت سياسة التعليم ومحتواه، وانعكاس الظروف والعوامل المجتمعية عليه، وخاصة العوامل الاقتصادية والاجتماعية، وما دار حولهما من صراع ثقافى، ومعرفة مدى تأثر واقع التعليم بهذا الفكر، وتأثير ذلك على العقلية المصرية وعلى تشكيلها.

وفى دراسة عن تأثير حركة الفكر فى أوربا على حركة الفكر التربوى المصرى قدم **شبل بدران (١٩٧٨م)** [١] دراسته التى هدفت إلى التعرف على مدى تأثير فلسفة التنوير على حركة الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٠٥م حتى ١٩٠٨م، وخلص من خلالها إلى عدة نتائج منها أن هذه الفلسفة ظهرت نتيجة لسوء أحوال المجتمع الأوربى فى القرن الثامن عشر، كما كان لفلسفة التنوير الأثر البالغ فى تكوين فكر رفاعة الطهطاوى كما كانت إصلاحات "محمد على" تحمل طابعا تقدميا.

كما توصل **سعيد إسماعيل على (١٩٦٩م)** [٢]،إلى عدم وجود نظرية شاملة متكاملة لدى أى مشتغل بالفكر التربوى فى تلك الفترة، وإصابة الفكر التربوى بما كانت عليه الثقافة المصرية آنذاك من التباين الشديد بين عناصرها، وكثرة النقل والترجمة من المؤلفات الأجنبية دون معيار محدد، وقد أكد على ذلك من خلال دراسته التحليلية عن التاريخ الاجتماعى والتطور الحضارى للمجتمع المصرى وحركة الفكر التربوى فى هذه الفترة؛ التى شهدت وقوع مصر فريسة للاستعمار الانجليزى، وما لذلك من انعكاسات على شتى قطاعات المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، وذلك حتى بداية الاستقلال المشروط.

وتوصل **حسان محمد حسان (١٩٧١م)** [٣] إلى أن ملامح الفكر التربوى المصرى اكتسبت العديد من سماتها وخصائصها من مدارس تربوية أجنبية، بحيث صار الشكل النهائى للفكر التربوى المصرى محصلة لما سبق، وتمهيدا للمرحلة التالية التى بدأت بثورة يوليو ١٩٥٢، وقد توصل إلى ذلك فى دراسة له عن تحليل الفكر التربوى فى الفترة من عام ١٩٢٣م حتى ثورة يوليو ١٩٥٢م.

---

(١) شبل بدران محمد الغريب، **تأثير فلسفة التنوير على حركة الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٠٥ - ١٩٠٨م**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٧٨م.

(٢) سعيد إسماعيل على، **الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لحركة الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٢٣**، مرجع سابق.

(٣) حسان محمد حسان، **اتجاهات الفكر التربوى فى مصر من ١٩٢٣م-١٩٥٢م**، مرجع سابق.

وفى دراسة **على خليل مصطفى أبو العينين (١٩٨١م)** [١] توصل إلى أن هناك عوامل أضعفت الفكر الإسلامى، منها : بعض متغيرات العصر الحديث، ومن هذه المتغيرات : الغزو الأوربى الذى عمل على تكوين جو ثقافى وفكرى يلائم وجوده فى البلاد المفتوحة فى الشرق، ولتحقيق ذلك اتخذ عدة وسائل، أهمها : التبشير والاستشراق؛ للترويج للفكر الغربى.

ومن خلال دراسة **صلاح الدين محمد توفيق (١٩٩٠)** [٢]- التى تناولت تأثير الفلسفة الليبرالية على حركة الفكر التربوى المصرى الحديث فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٥٢م - توصل إلى عدة نتائج، أبرزها : تأثر حركة الفكر التربوى المصرى أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بالفكر الغربى الأوربى، وبالتالى تأثر بعض المفكرين المصريين - بسبب البعثات والاحتكاك الثقافى بين مصر وأوربا - بذلك الفكر الغربى، وخاصة الفلسفة الليبرالية.

وفى مجال دراسة المفكرين المصريين الذين كان لهم صدى فى الفكر التربوى، نجد عدة دراسات تناولت الفكر التربوى لطه حسين، منها : دراسة **مصطفى محمد أحمد رجب (١٩٨٢م)** [٣]، ودراسة **كمال حامد أحمد مغيث (١٩٨٥م)** [٤]، ودراسة **آمال محمد حسن عتيبة (١٩٨٥م)** [٥]، وتوصلت هذه الدراسات إلى نتائج متعددة، ربما اختلفت نتيجة للمنطلقات المتعددة لها، إلا أن ما تكاد تتفق عليه هو : أن أهم مصادر ثقافة طه حسين تتمثل فى الثقافة الغربية، سواء القديم منها أو الحديث، مثل : الثقافة اللاتينية واليونانية، والثقافة الفرنسية، والتى منها الفكر الاستشراقى.

---

(١) على خليل مصطفى أبو العينين ، **الأصول الفلسفية للتربية فى مصر الحديثة بين الفكر الإسلامى والفكر التغريبى**، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٨١م.

(٢) صلاح الدين محمد توفيق، **دراسة تحليلية لتأثير الفلسفة الليبرالية على حركة الفكر التربوى المصرى الحديث**، مرجع سابق.

(٣) مصطفى محمد أحمد رجب، **فكر طه حسين التربوى بين النظرية والتطبيق**، رسالة ماجستير، كلية تربية سوهاج، جامعة أسيوط، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٤) كمال حامد أحمد مغيث، **الفكر التربوى عند طه حسين**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٩٨٥م.

(٥) آمال محمد حسن عتيبة، **الفكر التربوى عند طه حسين ومدى تطبيقه فى ميدان التعليم فى مصر**، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

وعن أحمد لطفى السيد وفكره التربوى، خلص **صلاح الدين محمد توفيق** فى دراسته (١٩٨٦) [١] إلى أن فكر أحمد لطفى السيد كان فكرا ذا أهداف قومية، أحسن فيه الاقتباس والأخذ عن النظريات التربوية والقومية الغربية العصرية بما يتلاءم مع حاجة المجتمع المصرى، كما ابتعد فكره عن التراث العربى الإسلامى فجاء خاليا من تعاليم وآراء المربين العرب والمسلمين، كما تأثر فكره التربوى والقومى بالفكر التربوى والقومى للحركات القومية التى ظهرت فى أوربا فى العصر الحديث.

وأشار **أحمد على عطية زلط (١٩٨٦م)**[٢] - فى دراسة له عن فكر محمد حسين هيكل - إلى عدة نتائج، منها :

- أن الحضارة الغربية قامت على أساس الفصل بين الدين والعلم، مقتصرة على الجانب المادى فقط، بينما زاوجت الحضارة الإسلامية بين العلم والدين، ونتيجة لانشغال المجتمعات بالصراع الحضارى المادى فقط، كانت النتيجة هى تقلص دور المسلمين وتأخرهم.
- تقسيم "هيكل" المستشرقين إلى : موضوعيين، ومتعصبين، معترفا بفضل ما أسدته دراساتهم من توجيهات علمية لأبناء الشرق، وفى نفس الوقت رد على المستشرقين المتعصبين ضد الحضارة الإسلامية.
- أن الرؤية الحضارية عند "هيكل" رؤية إنسانية، تنهض على أساس شامل من الحوار الحضارى الفكرى بين الشعوب، وبالتالى فيمكن إقامة حضارة جديدة حاكمة فى عالمنا المعاصر، بشرط إتاحة الفرصة للاطلاع على الثقافات الأخرى والإفادة منها.

كما توصل **أحمد سمايلوفيتش (١٩٧٤م)** [٣] - فى دراسته التحليلية عن أثر فلسفة الاستشراق على الأدب العربى المعاصر - إلى عدة نتائج، منها :

- إسهام حركة الاستشراق فى النهضة العربية الحديثة وميادينها المختلفة.

---

(١) صلاح الدين محمد توفيق، **الفكر التربوى عند أحمد لطفى السيد**، رسالة ماجستير، كلية تربية بنها، جامعة الزقازيق، ١٩٨٦م.

(٢) أحمد على عطية زلط ، **فكر الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية**، رسالة ماجستير، كلية آداب بنها، جامعة الزقازيق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) أحمد سمايلوفتيش ، **فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر**، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٤م.

- تغلغل أثر الاستشراق فى ميادين الحياة الفكرية والثقافية والأدبية فى الشرق العربى فى القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وبالتالى قيامه بدور بارز فى تشتيت جهود مقاومة السيطرة الأجنبية، فكريا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا، وذلك بإثارة الشكوك والمشاكل التى أدت إلى تفريق جهود العلماء الواقفين فى وجه تلك السيطرة، فى حين أنه لو تحرر الاستشراق من أحكامه التعسفية المتعصبة، لأدى ذلك إلى تحقيق التفاهم والتبادل الفكرى بين الشرق والغرب.
- لابد من دراسة الاستشراق دراسة موضوعية، تبرز ما له وما عليه، فى جميع ميادين نشاطه فى العصور المختلفة، وهذا لن يتحقق من خلال مجهود فردى، بل يحتاج إلى مجهود جماعى، بحيث يتمتع أصحاب هذاالفريق الجماعى بثقافة إسلامية واجتماعية ودينية وفلسفية ولغوية وتاريخية ونقدية.

وخلصت دراسة **مجدى محمد عطا الله (١٩٨٨م)** [١]التى اقتصر فيها على أحد مدارس الاستشراق وهى المدرسة الانجليزية إلى تركيز الغرب - ولا سيما المستشرقين- على دائرة الصراع الدينى مع الشرق العربى الإسلامى، وقد تولدت هذه الدائرة خلال الحروب الصليبية التى أتاحت الفرصة لمعرفة الغرب بالشرق، وبالتالى فالاستشراق يعد هو الوريث الشرعى للتبشير، وهدفهما واحد وهو هدف دينى، كما أن الاستشراق الانجليزى ارتبط بفكر بلده انجلترا، ومن هنا ركز المستشرقون الثلاثة التى تناولتهم تلك الدراسة على إعلاء الحضارة الغربية، والحط من شأن الفكر الإسلامى.

وأكد **بن حمو محمد (١٩٨٩م)** [٢] على أن الهدف من نشأة الاستشراق هو مساعدة الغرب فى السيطرة على الشرق الإسلامى، وبذلك يعد الدافع العلمى للاستشراق فى الجزائر هو آخر الدوافع، بسبب تركيز المستشرقين على تبرير غزو الجزائر، ومن هنا حقد المبشرون والمستشرقون على كل ما هو إسلامى، نظرا لوقوف الإسلام فى وجوههم، وبناء على ذلك فلا يمكن للدول الغربية الاستغناء عن الاستشراق والتبشير لحاجتهم الماسة إليه.

---

(١) مجدى محمد عطا الله ، **مدرسة الاستشراق الانجليزية والتيارات الإسلامية الحديثة (أرنولد - مرجليوث - جب)**، رسالة ماجستير، كلية آداب بنها، جامعة الزقازيق، ١٩٨٨م.

(٢) بن حمو محمد ، **دور التبشير والاستشراق فى الثقافة العربية الإسلامية فى الجزائر**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

وهكذا يحتاج الاستشراق إلى فريق عمل بحثى للكشف عن حقيقة وجوهر أعمال الاستشراق، وتحليلها ثم الرد عليها، أو الإفادة من بعض دراساته الموضوعية، وهذا يتطلب المزيد من الدراسات حول الاستشراق وتأثيراته.

قضية الدراسة :

تعتبر دراسات الفكر التربوى من الأمور المهمة واللازمة فى حياتنا الثقافية، وما زالت هناك صفحات كثيرة لم تتكشف بعد فى تاريخ الفكر التربوى للمجتمع العربى الإسلامى، وخاصة فى مصر ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة فى هذا المجال وجد ما يلى :

- تأثر الحياة الفكرية فى مصر بالثقافة الغربية، وكثرة النقل والترجمة من المؤلفات الأجنبية دون معيار محدد[١].
- اكتساب الفكر التربوى المصرى العديد من ملامحه وسماته وخصائصه من مدارس تربوية أجنبية[٢].
- تأثر حركة الفكر التربوى المصرى أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين بالفكر الأوربى[٣]، وخاصة الفكر الاستشراقى الذى تغلغل أثره فى ميادين حياتنا الفكرية والثقافية، إيجابا وسلبا[٤].
- استمرارية عمل الاستشراق فما زالت حركته متماسكة وقوية، ولا يزال له العديد من المجلات والجمعيات، كما أن مجالات تخصصه قد تعددت، وهذا راجع إلى أهميته - كفكر - بالنسبة للدول الغربية التى تقتضى مصالحها الإبقاء عليه نشيطا ومزدهرا[٥].
- قلة عدد الدراسات العربية التى أجريت حول الاستشراق، أو حول تأثيره فى الفكر التربوى المصرى الحديث، وهذا يدعونا إلى القيام بمزيد من الدراسات حوله وحول

---

(١) راجع : سعيد إسماعيل على ، **الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لحركة الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٢٣م**، مرجع سابق.

(٢) راجع : حسان محمد حسان ، **اتجاهات الفكر التربوى فى مصر من ١٩٢٣م-١٩٥٢م**، مرجع سابق.

(٣) راجع : صلاح الدين محمد توفيق ، **دراسة تحليلية لتأثير الفلسفة الليبرالية على حركة الفكر التربوى المصرى الحديث من ١٨٨٢-١٩٥٢**، مرجع سابق.

(٤) راجع : أحمد سمايلوفتيش، **فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر**، مرجع سابق.

(٥) راجع : بن حمو محمد ، **دور التبشير والاستشراق فى الثقافة العربية الإسلامية فى الجزائر**، مرجع سابق.

انعكاساته على الفكر العربى وخاصة الفكر المصرى، لعدم كفاية ما أجرى حوله من دراسات[١].

- لأهمية الفكر التربوى فى بناء الإنسان والمجتمعات فإنه لابد من إخضاع هذا الفكر للدراسة والنقد والتحليل من أجل تقدمه وازدهاره[٢].

كما أن المستشرقين كتبوا كثيرا من الكتب والأبحاث والمقالات عن الإسلام وفكره ولغته وتاريخه، وما زال الكثير من المفكرين المصريين والتربويين يعتمدون عليها، ويذكرون ذلك صراحة أحيانا، ويكتمون ذلك أحيانا أخرى، وقد شكل هذا جوا ثقافيا معينا تمارس فيه التربية مهمتها. وقد استخدم المستشرقون مناهج مختلفة أسهمت فى تطوير مناهج وأساليب الدراسات الإسلامية والعربية، وواصلوا تطويرها وتهذيبها بالممارسة والنقد والإفادة من تقدم البحث العلمى عامة، ومناهج العلوم الإنسانية خاصة وفى نفس الوقت تعلم ودرس على أيدى المستشرقين العديد من المفكرين العرب والمسلمين، ولا سيما من المصريين، فحملوا علومهم ومناهجهم إلى أوطانهم، وأثروا فى ثقافة وفكر ومناهج وأساليب التفكير فى أوطانهم تلك. وهذا أيضا جدير بالدراسة والبحث.

كذلك يلحظ - الآن - ما يتعرض له العالم العربى والإسلامى من محاولات لفرض اتجاهات فكرية وثقافية، بغرض الهيمنة والسيطرة على مقدرات ذلك العالم، سواء أكانت هيمنة اقتصادية أو فكرية، وهذا راجع إلى امتلاك الغرب للتقنيات الحديثة والمتقدمة التى ساعدت على سهولة الاتصال بين مختلف مناطق العالم، ونتيجة المعلوماتية التى أدت إلى تضاعف المعرفة فى فترات وجيزة، وبناء على ذلك صار التأثير فى الحياة الفكرية والثقافية للآخرين عملية سهلة عما كانت عليه من قبل، وخاصة عن طريق أجهزة الإعلام الغربى سواء فى الصحافة أو وسائل البث المتعددة الموجهه بشكل خاص للعالم العربى والإسلامى. وهذا يفرض علينا أن نبحث فى التاريخ الثقافى والتعليمى ونحلله وننقده بما يمكن الأمة من التعرف على طريق التقدم، ونبذ جوانب الضعف، حتى يتسنى للأمة أن تعيش حياة كلها صحة ثقافية وحضارية.

---

(١) راجع : أحمد سمايلوفيتش ، مرجع سابق.

(٢) راجع : طلعت عبد الحميد فايق ، **دراسة تحليلية للفكر التربوى فى مصر من ١٩٥٢م حتى ١٩٧٠م**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

ولم يعد فى وسع أحد من الغرب أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا مرتبطا به، أن يتخلص من القيود التى فرضها الاستشراق على حرية الفكر أو الفعل فى هذا المجال[١]، حيث إن الاستشراق "يشكل شبكة المصالح الكلية التى يستحضر تأثيرها بصورة لا مفر منها فى كل مناسبة... يكون فيها الشرق موضعا للنقاش"[٢].

ومن هنا كانت الحاجة ماسة لدراسة الاستشراق فى علاقته بالفكر التربوى المصرى الحديث، تحليلا ونقدا وإظهار الإيجابيات والتأكيد عليها، والسوالب ومحاولة تخطيها وتجنبها.

تساؤل الدراسة :

بناء على ما سبق يمكن تحديد تساؤل الدراسة فى التساؤل الرئيس التالى :

ما أثر دراسات المستشرقين فى الفكر التربوى المصرى الحديث؟

يقصد بذلك تناول فاعلية الفكر الاستشراقى فى الفكر التربوى وكيف تأثر ذلك الفكر بوجهات نظر المستشرقين، وهذا يستلزم تفصيلا لأبعاد القضية موضع الدراسة، كما تتمثل فيما يلى :

- الإطار التاريخى والفكرى لحركة الاستشراق وفكره، سواء كانت عوامل تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية، لأن هذه العوامل جميعا أدت دورا واضحا وقويا فى تشكيل الاستشراق واتجاهاته الفكرية.
- دراسة أشكال التأثير الذى أحدثه الفكر الاستشراقى فى الفكر التربوى ومظاهر ذلك التأثير.
- إن دراسة الفكر - أى فكر - ليست مجرد رصد للوقائع والحوادث فقط، بل محاولة للتحليل والتفسير والتعليل، وفهم حركة التعليم والتربية من وراء حركة الثقافة الناتجة عن حركة الثقافة والعكس، وتأثير حركة الفكر العام - أصيله ووافده - فى نظم التعليم، ومحاولة فهم الآثار المجتمعية الناتجة عن ذلك، ولعل هذا من أهم منطلقات هذه الدراسة التى تحاول أن تحلل الواقع الفكرى التربوى للفترة موضع الدراسة.

---

(١) محمود حمدى زقزوق ، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى**، مرجع سابق، ص ١٣ .

(٢) إدوارد سعيد ، **الاستشراق**، مرجع سابق، ص ٣٩ .

أهـداف الدراسـة :

تحاول هذه الدراسة تحقيق عدة أهداف، منها :

١- التعرف على الإطار التاريخى والفكرى للاستشراق، من حيث مفهومه ونشأته ومنهجه، ورصد العوامل التى ساعدت على تأثير الفكر الاستشراقى فى الفكر التربوى المصرى الحديث.

٢- الكشف عن العلاقة بين الفكر الاستشراقى وبين بعض قضايا الفكر التربوى المصرى الحديث، توصلا لإبراز ايجابيات وسلبيات الاستشراق، ودور التربية فى مواجهة سلبياته.

٣- لفت النظر إلى المحاولات التى تعرضت لها اللغة العربية الفصحى للنيل منها، ولكنها ظلت صامدة، نظراً لأصالتها ومرونتها، وبالتالى صلاحيتها كلغة للعلم.

٤- التنبيه إلى ضرورة إخضاع تاريخ الفكر العربى الإسلامى للفحص، للتعرف على ما تعرض له من بعض التحريفات أو التزييفات.

حـدود الدراسـة :

تتحدد أبعاد الدراسة فيما يلى :

- **الحد الموضوعى :** ويتمثل فى علاقة الاستشراق بحركة الفكر التربوى المصرى الحديث، وذلك من خلال تناول قضيتين رئيستين، وهما : لغة التعليم، وتاريخ الفكر العربى الإسلامى، حيث يتم تناول آراء المستشرقين فى هاتين القضيتين وانعكاسات ذلك على الفكر التربوى المصرى.
- **الحـد الزمنـى :** سيتم تناول هذا الموضوع فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٥٢م، ويرجع اختيار هذه الفترة إلى عدة أسباب، منها :

- أن هذه الفترة تعد أكثر فترات الاستشراق ازدهارا ونشاطا وتطورا وخاصة فى مصر.
- أن هذه الفترة شهدت نزوح عدد كبير من الأجانب إلى مصر فى عهد الاحتلال الانجليزى؛ مما أدى إلى اصطباغ الثقافة العربية - ولا سيما مصر - بالطابع الأوربى إلى حد كبير.
- نظرا لطول الفترة التاريخية للاستشراق، بحيث لا يمكن أن يتناولها الباحث كلها بدقة وعمق، لذلك آثر الباحث تحديد فترة زمنية معينة، حتى يكون التناول عميقا لا سطحيا ومؤديا لنتائج علمية سليمة.

- أن هذه الفترة لعبت دورا أساسيا فى التاريخ المصرى الحديث، فكان لها انعكاساتها التى نشعر بها حتى اليوم[١].

منهج الدراسة :

سيعتمد البحث على المنهج التاريخى، والتحليل الفلسفى.

وقد قام الباحث بتجميع ما يتعلق بموضوع دراسته من مادة علمية عن طريق مسح المعلومات المرتبطة بالفترة الزمنية موضع الدراسة، أو بتناول الإنتاج الفكرى للعديد من المستشرقين ولبعض من تأثر بهم من المفكرين المصريين، واتخاذ الإجراءات المنهجية فى سبيل التحقق من نسبة هذا الإنتاج الفكرى لأصحابه ثم إجراء مقارنة بينهما لمعرفة مدى عمق ذلك التأثر، عن طريق تحليل ذلك الإنتاج تحليلا فلسفيا، ومعرفة العوامل التى ساعدت على حدوث ذلك التأثير، حتى يمكن الخروج بتعميم ما أوحكم عام، مما قد يؤدى إلى الكشف عن تفسير للواقع المعاش - تربويا - ، أو تفسير للممارسات التربوية المعاصرة لمعرفة جذورها وأصولها.

مصطلحات الدراسة :

- **الاستشراق** : فى ضوء تعرض الباحث للعديد من تعريفات الاستشراق، فإنه يميل إلى التحديد التالى وهو : تلك الدراسات الغربية التى تتناول الشرق العربى والإسلامى - بوجه خاص - فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، بغض النظر عن الهدف من تلك الدراسات.
- **المستشرق** : هو من يقوم بدراسة الشرق وحضارته، من غير الشرقيين.
- **الفكر التربوى** : ويقصد به : جملة الإنتاج العقلى للمفكرين المصريين الذين تناولوا قضايا التربية أو لأفكارهم وآرائهم صداها على التربية أو انعكاساتها على التعليم، أو تأثير على المناخ الثقافى العام للمجتمع لماله من تأثير فى حركة الفكر التربوى.
- **حركة الفكر التربوى** : ويقصد بها: التغيرات أو التطورات أو التأثيرات التى طرأت على الفكر التربوى المصرى الحديث، نتيجة المتغيرات الحادثة فى المجتمع.

---

(١) أحمد صادق سعد ، حول النظرة الاستشراقية لعصر محمد على، **مجلة الفكر العربى**، عدد ٣٢، السنة الخامسة، بيروت، معهد الإنماء العربى، نيسان (أبريل)- حزيران (يونية) ١٩٨٣م، ص ٤١ .

- **لغـــة التعليـــــم** : ويقصد بها : اللغة التى صيغت بها المقررات الدراسية ويتم التدريس بها فى جميع المراحل التعليمية : الابتدائى - الإعدادى - الثانوى - الجامعة، والتى تستخدم لاكتساب المعارف والمعلومات الأساسية.
- **الفكر العربى الإسلامى** : ويعنى به الثروة الفكرية التى أنتجتها عقول المسلمين فى مختلف مجالات المعارف والفنون، وفى سائر ألوان الحضارة ومظاهرها.

خطـوات الدراســة :

لتحقيق أهداف الدراسة، سارت خطواتها كالتالى:

- **الخطوة الأولى** : وتناولت الإطار العام للدراسة من حيث المقدمة وقضية الدراسة وأهدافها ومنهجها وحدودها ومصطلحاتها.
- **الخطوة الثانية** : وتناولت الإطار التاريخى والفكرى للاستشراق، من حيث نشأته والمراحل التى مر بها وأهدافه، والمنهج الذى استخدمه ووسائل نشر الدراسات الاستشراقية.
- **الخطوة الثالثـــة** : وتناولت العوامل المساعدة التى أدت إلى تأثير الاستشراق فى الفكر التربوى المصرى.
- **الخطوة الرابعـــة** : وتناولت الاستشراق ولغة التعليم فى مصر، ومدى تأثر الفكر المصرى بالفكر الاستشراقى حول لغة التعليم، ثم صدى ذلك على التربية فى مصر.
- **الخطوة الخامسة** : وتناولت الاستشراق وتاريخ الفكر العربى الإسلامىومدى تأثر الفكر المصرى بالفكر الاستشراقى حول تاريخ الفكر العربى الإسلامى، وانعكاس ذلك على التربية فى مصر.
- **الخطوة السادسة** : وتناولت النتائج العامة والتصور المقترح لكيفية مواجهة التربية لسلبيات الفكر الاستشراقى.